العامل الديني ودوره في استعمار إفريقيا

The religious factor and its role in the colonization of Africa

د/عبد الرحمان قراش، جامعة زيان عاشور- الجلفة

dahmanbahi@gmail.com

تاريخ الارسال:2022-09-29 تاريخ القبول:2022-11-18 تاريخ النشر:2022-12-01

ملخص

عملت الدول الأوربية منذ القرن الخامس عشر الميلادي على محاولة نشر المسيحية في إفريقيا تمهيدا للسيطرة عليها وذلك عند قيام البرتغاليين برحلاتهم الاستكشافية على سواحل إفريقيا. وخلال القرون الموالية لحقت بها الدول الاستعمارية الأخرى وأرسلت حملاتها التبشيرية لنشر المسيحية في شتى ربوع إفريقيا تمهيدا لفرض سيطرتها الاستعمارية عليها، وهو ما حدث بالفعل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وكان له نتائج وخيمة على سكان القارة الإفريقية.

كلمات مفتاحيه:

الحركة التنصيرية. الاستعمار. إفريقيا. التبشير.

Abstract

since the fifteenth century AD The Europeans powers tried to spread Christianity in Africa to control it, when the Portuguese made their explorations on the African's coasts. In the course of the following centuries, other colonial countries followed Portugal, and sent missionary campaigns to spread Christianity throughout Africa in order to impose its colonial domination over it, which was already occurring during the eighteenth and nineteenth centuries and had disastrous consequences for the African people's continent.

Key Words: missionary movement, Colonialism, Africa, Evangelism.

.

المؤلف المرسل: عبدالرحمان قراش

الصفحة : 102 – 121

مقدمة:

يظن كثير من المسلمين بأن الحروب الصليبية قد انتهت برد الهجمات الصليبية على العالم الإسلامي فيما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين والحقيقة أن هذه الحروب لم تنته ولن تنتهي وهي متجددة من وقت إلى آخر تحت مسميات وحجج مختلفة والأكيد أن العامل الديني هو المحرك لهذه الحروب ضد العالم الإسلامي، فلو كانت دول إفريقيا مثلا كلها على المسيحية لما تعرضت للسيطرة الاستعمارية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. ورغم أن الكثير من المؤرخين خاصة الأوربيين منهم يحاولون إقناعنا بان عامل التجارة كان له الدور الأكبر في الهجمات الاستعمارية الحديثة على إفريقيا، إلا أن الأفارقة أدركوا الحقيقة وهو أن الدين كان العامل الأساسي وراء استعمار الأوربيين لإفريقيا. ويظهر ذلك من الخطاب الذي وجهه رئيس زمبيا السابق (كينيث كاوندا)(Kenneth Kaunda) (1924-1991)م في أيام كفاحه ضد الاستعمار البريطاني إلى رئيس إحدى الإرساليات التنصيرية البريطانية والذي قال فيه: «حينما يريد رجل إنجليزي سوقا لبضاعته الفاسدة التي صنعها في مانشستر ، فإنه يرسل مبشرا لتعليم الأهالي بشارة السلام، ويقتل الأهالي المبشر، فيهب الإنجليزي إلى حمل السلاح دفاعا عن المسيحية ويحارب من أجلها ، ثم يستولي على السوق مكافأة من السماء ».

ومن خلال موضوعنا هذا أردنا أن نبحث في دور العامل الديني في العلاقات بين الشرق والغرب، انطلاقا من الأحداث التاريخية التي تؤكد الحقيقة. ومن هنا يمكن أن نتساءل إلى أي مدى كان لهذا العامل دورا في استعمار إفريقيا؟ .

1/ العامل الديني ودوره في التمهيد للاستعمار الأوربي الحديث:

لم يكد يأتي القرن السابع عشر الميلادي حتى بدأت الدول الأوربية المسيحية ترسل الإرساليات التبشيرية إلى إفريقيا للوصول إلى الحبشة تلك المملكة المسيحية الوحيدة في إفريقيا التي عرفت المسيحية منذ النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، وحاول البرتغاليون الوصول إليها بعد اكتشافهم لرأس الرجاء الصالح سنة 1497م. وبالفعل تمكنوا من النزول

بسواحلها سنة 1520م واحتلال (مصوع) وهي مدينة وميناء بحري اريتري على البحر الأحمر. تبعد عن العاصمة أسمرة بحوالي 100 كم إلى الشرق منها دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري، وكان لها دور في نشر الإسلام في مناطق شرق إفريقيا وتعتبر من المدن الصناعية والتجارية الهامة في اريتريا خاصة صناعة المنسوجات، والصناعة الغذائية احتلها الطليان سنة 1885م)العفيفي، 2000، ص 461)، وتحالفوا معها ضد المماليك الإسلامية الموجودة آنذاك بالصومال واريتريا ومن أشهرهم مملكة (عدل) الإسلامية (أبوبكر1996، الصفحات 88،90). كما أصدر البابا (اسكندر الثالث Alexandre 3) سنة 1493م مرسوما يمنح التاج الإسباني الحق المطلق في المتاجرة مع البلاد التي اكتشفت ووضع شرطا، الآ وهو جلب تلك الشعوب إلى المسيحية (الصقار،2018، ص18).

تهافت الرحالة الأوربيون للوصول إلى إثيوبيا والذين كان أغلبهم من المبشرين بالمسيحية ليجعلوها بوابتهم لكشف مجاهل إفريقيا التي كانت قارة مظلمة بالنسبة إليهم، ومن أشهر هؤلاء الرحالة المبشرين: (بيردرو بيزBerdro Piez) الذي وصل إلى الحبشة سنة 1603م، وقام بنشر المسيحية فيها واستطاع إقناع إمبراطورها وحاشيته باعتناق المسيحية، والأب (لوبوLobo) الذي اتخذها محطة لكشف بعض المناطق الداخلية في شرق إفريقيا (كام،1983، الصفحات 37،38).

كما استطاع البريطانيون أن يمهدوا لفرض سيطرتهم على غرب وجنوب إفريقيا بالبعثات التبشيرية مثل بعثة إخوان (مورافيا Moravia) الذين كانوا من المبشرين الذين انتشروا بين قبائل (هوتنتوه) الإفريقية حوالي سنة 1737م. وبعثة (ويزليان) إلى سيراليون بين سنتي (1806م-1811) م، وقام البريطانيون بتأسيس مستعمرة سيراليون لإسكان العبيد المحررين. كما حذا حذوهم الأمريكان وأسسوا ليبيريا سنة 1847م للغرض نفسه. وكان هؤلاء العبيد قد تحضروا بالحضارة الأوربية وانتشرت بينهم الديانة المسيحية (صالح ،1987، ص120).

ومن المبشرين أيضا (دافيد ليفين ستون)David Livingstone (ت 1873)المبشر والرحالة الانجليزي الذي وصل إلى جنوب إفريقيا سنة 1841م ليكتشف منابع نهر الزامبيزي ،وينشر المسيحية في المناطق التي وصل إليها . ورغم أن التاريخ يذكر لهذا الرجل حسنة وهي أنه قد حث بلاده على محاربة تجارة العبيد عندما أرسل تقاريره مع الرحالة (ستانليStanley) (ت 1904م) إلى الحكومة البريطانية بهذا الشأن قائلا: « ... إنني أعتبر ذلك مسألة هامة بل لا أبالغ عندما أقول أنها مسألة أهم بكثير من الكشف عن كل مصادر النيل»(كام ،1983،ص317) .

وبعد (ليفين ستون) كان للرحالة الانجليزي (ستانلي) دورا كبيرا في التمهيد للاستعمار الأوربي في إفريقيا ليس البريطاني فقط بل الأوربي عامة لأن هذا الرجل تم إرساله إلى إفريقيا في رحلة ثانية من طرف الملك البلجيكي (ليوبولد الثاني2 Léopold) (ت 1909) من أجل التمهيد لإيجاد مستعمرة شخصية له في الكونغو بعقد الاتفاقيات مع الزعماء المحللين هناك . واستطاع هذا الرحالة عقد حوالي خمسمئة (500) اتفاقية تقر بخضوع زعماء المناطق الكونغولية في الجهة اليمنى لنهر الكونغو للملك (ليوبولد الثاني)، وفي الوقت الذي كان فيه (ستانلي) ينشط لعقد تلك الاتفاقيات في الكونغو كان الرحالة الفرنسي (برازا Brazza) ينافسه في الجهة المقابلة من نهر الكونغو لجمع توقيعات الزعماء هناك لصالح بلاده (زاهر ،1965، الصفحات ،144،143)،مما أحدثت أزمة بين الدول الاستعمارية الأوربية في الكونغو ،بسبب شدة التنافس بينها على تلك المنطقة، لذلك تم عقد مؤتمر أوربي في برلين (1885-1884)م من أجل حل مشكلة الكونغو وتنظيم الحركة الاستعمارية بين الدول الأوربية لمنع الصدام بينها في إفريقيا .

ورغم أن الرحالة (ستانلي) لم يكن مبشرا إلا أن المسيحية كانت حاضرة في رحلته الكشفية إلى إفريقيا، فعند زيارته إلى (أوغندا) وجد أن الملك (موتيسا) وحاشيته قد اعتنقوا الإسلام منذ زمن بعيد فانزعج عندما علم بذلك؛ وسارع إلى كتابة مقال وإرساله إلى جريدة (الديلي تليغراف) البريطانية والذي تم نشره في 15نوقمبر 1875م ، وقد بدأ (ستانلي) كلامه في هذا المقال بذكر

اعتناق الملك (موتيسا) الإسلام على يد تاجر سماه (خميس بن عبد الله) ودعا إلى سرعه إرسال الإرساليات التنصيرية ، خاصة من بريطانيا . وركز على أن الوعظ وحده لا يؤثر على شعب أوغندا الذكي.

كما ركز على أن الرجل المطلوب هو المعلم النصراني الخبير، الذي يستطيع أن يعلم أفراد الشعب كيف يصبحون نصارى فيعالج مرضاهم، ويبني لهم المساكن، ويعلم الأهالي الزراعة ويوجه يده إلى أي شيء (كما يفعل الملاح) مثل هذا الرجل سيصبح منقذ إفريقيا من الإسلام على حد قوله (النملة، 1993، ص46).

وقد أثر هذا المقال الذي خاطب به الانجليز شعبا وحكومة، فجمعت التبرعات التي وصلت في ذلك الوقت إلى 2400 جنيه إسترليني في أقل من عام على نشر هذا المقال. وقد وزع المبلغ على الجمعيات التنصيرية التي تم إرسال بعثاتها إلى إفريقيا، مثل الإرسالية الجامعية لوسط إفريقيا وإرسالية كنيسة اسكتلندا....(النملة،1993 ،46).

خلال القرن التاسع عشر الميلادي ظهر تضامن بريطانيا مع مملكة الحبشة لأنها هي أيضا على المسيحية وذلك عندما أراد (محمد علي) والي مصر التوسع جنوبا على حساب الحبشة بعدما منعه من التوسع شمالا على حساب الدولة العثمانية فأسر برغبته في فكرة التوسع جنوبا إلى قنصل بريطانيا (سالت Salt) فرد عليه بان بريطانيا لن تسمح بغزو الحبشة: «ذلك البلد المسيحي الذي مازال وحده متمسكا بالمسيحية (في إفريقيا)»(غنيم ،1999، ص173). وفي المقابل سكتت بريطانيا عن غزو (منليك الثاني Menielek 2) (ت 1976) إمبراطور إثيوبيا للمناطق الصومالية الغربية واحتلاله لمقاطعة (هرر) عشر الإسلامية سنة 1887م.

لم تنته الأمور إلى هذا الحد بل قامت بريطانيا بإبعاد الدول الأوربية عن إثيوبيا خلال القرن التاسع حتى لا تفرض سيطرتها الاستعمارية عليها، فكانت تعارض إيطاليا التي كانت تسعى بكل جهودها آنذاك إلى أن تمد نفوذها على هذا البلد، وقيدتها مع فرنسا بمعاهدات تحترم وتحفظ استقلالها كمعاهدتي 1896مو 1906م؛ كما ساعدت بريطانيا (هيلاسيلاسي Haile

Selassie)(ت 1975م)(غيث،2001،ص261) على كسب بلاده عضوية عصبة الأمم سنة 1923م (zewed,2014,P131)؛ وعندما تعرضت إثيوبيا للاستعمار الفاشي سنة 1936م كانت أبواب العصبة في جنيف مفتوحة لهذا الرجل كي يلقي خطابا دام ساعة ونصف يدافع فيه عن حق بلاده في التحرر جاء فيه : « أنا (هيلاسيلاسي) الأول إمبراطور أثيوبيا أقف أمامكم هنا أطلب العدالة لشعبي والعون له الذي وعدت به قبل ثمانية أشهر ، عندما حكمت خمسون دولة أن اعتداء قد وقع عليها... إن المسألة المعروضة هي تحد لوجود عصبة الأمم نفسها وامتحان لميثاقها الذي نادى بالمساواة التامة بين الدول. وامتحان لثقة الدول الصغيرة في المنظمة العالمية.... وليس هناك مملكة فوق الأرض تتفوق على مملكة أخرى اللهم مملكة الله الواحد .... وسوف لن ينس الله والتاريخ حكمكم....» (موسى، 1997، ص 181). وهنا يمكن أن نتساءل لماذا أعطيت إثيوبيا حق العضوية في عصبة الأمم، ولم تعط المملكة العربية السعودية هذا وهي التي أصبحت كيانا سياسيا منذ سنة 1932م؟.

سارت بريطانيا وفرنسا في سياسة مساندة إثيوبيا وعملا على تحريرها سنة 1941م وترك حكمها في يد إمبراطورها (هيلاسيلاسي)، بينما البلاد الإسلامية التي كانت تحت السيطرة الاستعمارية الإيطالية مثل ليبيا واريتريا والصومال تم إبقاؤها تحت السيطرة الاستعمارية إلى زمن متأخر،حيث وضعت ليبيا تحت الوصاية الأممية إلى غاية سنة 1952م .

ووضعت الصومال تحت الحكم البريطاني إلى غاية سنة 1960م. كما وضعت اريتريا تحت النفوذ الإثيوبي المسيحي الذي عانت منه كثيرا ولم ينته إلا سنة 1993م تحت ضغط الثورة الإريترية.

وخلال القرن التاسع عشر الميلادي أيضا كان العالم الإسلامي الذي كانت تحكمه الدولة العثمانية قد دب إلية الضعف، وصارت الدولة العثمانية تسمى بالرجل المريض الذي تنتظر نهايته لتقسيم تركته، التي هي بدون شك البلاد العربية في إفريقيا وآسيا.

وكانت البداية من الجزائر التي كانت فرنسا تخطط للسيطرة عليها وتحويلها إلى بلد مسيحي منذ عهد (نابليون بونابرتNapoléon Bonaparte) (ت 1821)، الذي كانت خطته الاعتماد على المبشرين المسيحيين من أجل الوصول إلى هذه الغاية، ويظهر ذلك من خلال تصريحه سنة 1804م الذي جاء فيه: «إن في نيتي إنشاء مؤسسة لإرساليات أجنبية فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عونا كبيرا لي في آسيا وإفريقيا وأمريكا، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار. إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية» (عبد الوهاب ،1981، ص128).

ويبدو أن العقلية الاستعمارية للدول الأوربية كانت لا تختلف عن بعضها البعض فبريطانيا أيضا كانت تسير على الطريقة نفسها التي رسمها (نابليون الأول) للتمهيد للاستعمار الفرنسي في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، حيث كان (جيمس بلفورArthur James Balfour) (ت 1930) الوزير البريطاني وصاحب وعد بلفور المشؤوم عام 1917م يقول: «إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها في الكثير من الأمور المهمة، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيرا من العقبات، ولذلك فإننا في حاجة إلى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين »الأرو ، 1429هـ/2008م ،ص36).

2. السياسة الدينية للاستعمار الأوربي:

استطاعت الدول الأوربية الاستعمارية فرض سيطرتها على إفريقيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وعملت على محو شخصية الشعوب المستعمرة، فكان أول ما حاربته الدين واللغة لما لهذين العنصرين من أهمية في بناء شخصية الشعوب أو هدمها. ويظهر ذلك مثلا من خلال النصوص التي كتبها الفرنسيون وهم يستعدون للحملة على الجزائر. والتي تعكس الروح الصليبية والهدف الديني الذي كانوا يرمون إليه من وراء غزو الجرائر، فمنذ احتلالهم لمدينة الجزائر قاموا بالاستيلاء على المساجد وأقاموا القداسات وصلوات الشكر، والحفر على بقايا المسيحية منذ عهد الرومان واعتبار الاحتلال عملية امتداد واسترجاع

لسيطرة المسيحية، ولا فرق بين القادة العسكريين والقادة الدينيين في هذا المشروع إلا في الوسائل والإعلان والدرجة، ذلك أن العسكريين كانوا يريدون تحويل الجزائر إلى مسيحية ببطء بدون ضجة حتى لا يثور المسلمون، و أما رجال الدين فكانوا يظهرون الحماس الصليبي، ويعتبرون رسالتهم حربا مقدسة يخوضونها في قلب إفريقيا وفي قلب الإسلام . وكان رجال الدين في الحقيقة متشجعين برجال السيف ولولاهم ما قدروا على زرع أنفسهم في الجزائر، كما أن رجال السيف كانوا يعتمدون على رجال الدين في كثير من تحركاتهم لأنهم كثيرا ما مهدوا لهم الطريق وأعدوا لهم الأرض لاعتداء جديد على المسلمين، وصدق (جان بوجولا) عندما قال : « إن حربنا الإفريقية (الجزائر) ما هي إلا استمرار للحروب الصليبية » (سعدالله ،1992، الصفحات 132،133).

احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م بمباركة من البابا لإعادتها لملك روما المسيحية وقامت بتسخير كل إمكانياتها من اجل تحويل هذا القطر المسلم إلى بلد مسيحي، وهو ما أقر به الكاردينال (شارل لا فيجري) الذي كان مكلفا بهذه المهمة، حيث قام بجولة في ربوع الجزائر حاملا الصليب في يمينه والخبز في شماله وهو ينشر المسيحية في أوساط الجزائريين وجمع 1500 يتيما ورباهم في ظل الكنيسة. وقد كتب إلى الحكومة الفرنسية قائلا: «إن إدخال الأهالي في الديانة المسيحية واجب مقدس ينبغي أن نرقي هذا الشعب ... وأول ما يجب علينا معهم هو الحيلولة بينهم وبين القرآن، ينبغي لنا على الأقل أن نهتم بالصبيان فندخل في عقولهم تعاليم جديدة، ألا وهي تعاليم الإنجيل»(الخطيب، 1995، ص 32).

ويثني (رينيه بواتيه) في كتابه (الكاردينال لا فيجري) على هذا الرجل بقوله: « ... في الجزائر استطاع (لا فيجريLavigerie)(ت1892) أن يهب كل ما في استطاعته لإظهار حبه لفرنسا ... . أراد (لا فيجري) أن يحبب فرنسا إلى الناس باسم المسيح»(السقار،2018، ص21).

ولم تكتف فرنسا بهذا بل حولت المساجد في الجزائر إلى كنائس مثل مسجد كتشاوة بالعاصمة و مخازن للسلاح والحبوب مثلما فعلت بمسجد محمد الهواري بوهران، ومسجد

عين البيضاء بمعسكر،كما نفت العلماء أمثال: (محمد محمود العنابي) و (مصطفى الكبابطي)، وهو ما أقره الكاتبان الفرنسيان (كلين) و(فرانسيس جانسون Francis Jeanson)(ت 2009م) اللذان قالا حول هذه الحادثة : « لعل العبث بالدين كان هو المجال المفضل لدى القائد الفرنسي في الجزائر (رفيغو Revigo) ، فقد وقف و نادى أنه يلزمه أجمل مسجد في المدينة ليجعل منه معبدا لإله المسيحيين . وطلب من أعوانه إعداد ذلك في أقصر وقت ممكن، ثم أشار إلى مسجد كتشاوة فحوله إلى كنيسة وسمي بكاتدرائية الجزائر» (السقار،2018، ص24).

وعند تعيين الأميرال (دوقيدونDugiden) كحاكم عام للجزائر في 29 مارس 1871م قام بتشجيع عملية التبشير في الجزائر خاصة في منطقة القبائل، لذا عرفت الحركة التنصيرية في عهده تطورا كبيرا هناك .فمنذ تعيينه على رأس الإدارة المدنية بالجزائر كان مقتنعا بسياسة الإدماج وآمن بأفكار (لا فيجري) التي تعتبر التنصير سبيلا لإدماج الجزائريين ويتضح ذلك من قولـه : « إن الهدف الذي يرمي إليه المبشرون هو الهدف نفسه الذي أريد أن أصل إليـه»(يسيلي،1991، 125).

لقد كانت الفترة الاستعمارية أكبر بلاء على الإسلام في إفريقيا، حيث عمل الأوربيون على إيجاد نخبة مثقفة بالثقافة الأوربية ومتدينة بالديانة المسيحية تسهل عليهم نشر المسيحية في أوساط المسلمين، وهو الأمر الذي كان يوصي به المنصرون ويسعون إلى إيجاده ونجحوا فيه إلى حد بعيد في الكثير من المناطق الإفريقية، ومن بين هؤلاء المنصر (زويمرZwimer)(النملة ،1993، ص39) (ت1953)الذي كان يقول : « إن الشجرة ينبغي أن يقطعها أحد أعضائها ... إن خبرة الصيادين تعرف أن الفيلة لا يقودها إلى سجن الصياد الماكر إلا فيل عملي أتقن تدريبه ليتسلل بين القطيع، لأن جلده مثل جلودهم ويسمعون له ولأنّ صوته يشبه صوتهم فيتمكن من التغرير بهم وسوقهم إلى حظيرة الصياد »)النملة ،1993، ص46).

وفي مصر نقل الجبرتي في تاريخه ما صنعه الفرنسيون هناك عند قيام (نابليون بونابرت) بحملته عليها سنة 1798م، فيقول : « دخل الإفرنج المدينة كالسيل ... ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول وتفوفوا (أي قاءوا) بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات ،وكسروا القناديل والسهارات ... ودشتوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا فيها وتغوطوا وبالوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه »(الجبرتي ، 1998، الصفحات 220،221).

وقد عملت السلطات الاستعمارية الأوربية في إفريقيا على اتخاذ جملة من التدابير سعت من ورائها إلى تثبيت أقدامها الاستعمارية بجميع المجالات، سواء باستخدام الديانة المسيحية وحتى الإسلام بعد إيجاد جماعات منحرفة تعمل لصالح الاستعمار. ويمكن ملاحظة تلك التدابير في المجالات التالية:

1-عمل الاستعمار على إيجاد فرق إسلامية ضالة كالقاديانية والبهائية اللتين نشأتا في ظل الاستعمار البريطاني في الهند سنة 1901م، حيث كان من دعاوى (غلام القادياني) أنه زعم بوجوب موالاة الانجليز وتحريم قتالهم وإبطال الجهاد؛ فكتب يقول في مقدمة كتابه (ترياق القلوب) : « لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها . وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الانجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة» (السقار، 2018، ص24) .

2-كان المبشرون أول من بدأ التعليم في إفريقيا السوداء؛ ففي أوغندا مثلا ظل التعليم تحت سيطرة المبشرين زهاء نصف قرن (1925-1877)م . وكان المنصرون الانجليز يتولون إدارة المدارس في جميع أنحاء إفريقيا البريطانية، وانتشر التبشير انتشارا كبيرا بزيادة عدد المنصرين البروتستانت والكاثوليك ، إذا بلغ عددهم سنة 1925م حوالي 633 منصرا في جميع أنحاء إفريقيا(خالدي و فروخ ،1953 ،ص243).

3-استعمال التمريض كوسيلة للوصول إلى قلوب الأفارقة، حيث انتشرت الفرق الطبية التابعة للإرساليات المسيحية في أنحاء إفريقيا لتقديم الخدمات الطبية لكسب ود الأفارقة تمهيدا لنشر النصرانية في أوساطهم، وهو ما دعا إلية الرحالة الأوائل الأوربيون في إفريقيا مثل(ليفنن ستون) و(ستانلي) .هذا الأخير الذي بعث بمقال إلى جريدة (الديلي تليغراف) البريطانية يوصي فيه الشعب البريطاني والحكومة البريطانية بهذا العمل ،حيث جاء في هذا المقال: «إن الرجل المطلوب (في نشر المسيحية في أوغندا) هو المعلم النصراني الخبير المتمرس الذي يستطيع أن يعلم أفراد الشعب كيف يصبحون نصارى فيعالج مرضاهم ويبني لهم المساكن . ويعلم الأهالي الزراعة ويوجه يده إلى أي شيء (كما يفعل الملاح)، مثل هذا الرجل سيصبح منقذ إفريقيا من الإسلام» على حد قوله، و تظهر أيضا أهمية التمريض بالنسبة للعمل التنصيري في إفريقيا في قول أحد المبشرين الذي يدعى (موريسونMorrisson): «نحن متفقون بلا ريب أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية» (عبد الوهاب، 1981، 173).

وفي الجزائر كان (شارل لا فيجري) ينصح الآباء والأخوات البيض الذين يمارسون التمريض بمباشرة عملهم التنصيري على مراحل كالتالي:

- إقامة الصلوات أمام المرضى وتكليفهم بالمشاركة في ذلك.
- توزيع الصلبان على بعض العجزة من المرضى وتعليق بعضها على جدران حجراتهم (بقطاش ، 2009،ص56).
- إيجاد الفرص الملائمة للتحدث مع المرضى في الشؤون الدينية على شكل توجيه أخلاقي، فالطبيب أو الممرض من الآباء لا يعمل على تخفيف الألم فحسب بل ينشر رسالة السيد المسيح حسب (لا فيجري)(خالدي وفروخ ، 1953، ص64).

4-اتخاذ الصحافة كوسيلة تساهم في نشر الأفكار المسيحية، حيث أدرك المستعمر بأنها وسيلة لا توجه الرأي العام فقط بل تصنعه ؛ ولذلك استغلها في العالم الإسلامي ، خاصة العالم العربي منه؛ فأنشأ الصحف اليومية والأسبوعية مثل (بشائر السلام) و(الشرق والغرب) في مصر ، وأصبحت تنشر المقالات التي تمجد المسيحية والحضارة الرومانية... .

5-استغلال المخيمات الكشفية لنشر المسيحية، حيث كان المبشرون يشرفون على المخيمات الكشفية، مثلما كانت تفعل فرنسا في بلاد المغرب العربي التي كانت تقوم كنيستها بإرسال قسيسين للقيام بهذه المهمة.

6- تشويه الثقافة العربية الإسلامية وذلك بإلحاق التحريف بعلومها حينا والتشكيك فيها حينا آخر. وخير دليل على ذلك ما قاله المفكر الفرنسي (أرنست رينانErnest Renen)(ت 1892م) سنة 1944 م :« الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية »(خالدي وفروخ ، 1953، الصفحلت 213،218) .كما قام المستعمر بالاستعانة بمثقفيه ومبشريه لمحاربة اللغات المحلية في إفريقيا خاصة العربية فشجع العامية والحق بها الكلمات الأجنبية كي يقضي على هذا الرابط الذي يوحد الأمة العربية ويجعلها تشعر بالانتماء إلى أصل واحد(خالدي وفروخ ، 1953، ص224).

3/ الهيئات الداعمة للتنصير في إفريقيا:

أوكلت مهمة نشر المسيحية في إفريقيا والتي مهدت للهجمة الاستعمارية على مناطق القارة إلى مجموعة من الهيئات الدينية الأوربية والعالمية، التي كانت تتلقى الدعم المعنوي والمالي من الحكومات والجمعيات والمتطوعين وأصحاب المصالح، ومن أهم هذه الهيئات:

1.3/ الكنيسة الكاثوليكية: وذلك من خلال الهيئات التابعة لها مثل.

*الجمعية التنصيرية الإفريقية: التي عملت في مصر والسودان في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

*جمعية القديس يوسف للإرساليات التنصيرية الخارجية: التي عملت في جنوب السودان سنة 1939م

*جمعية الآباء البيض: والتي قامت بنشاط واسع في بلدان القرن الإفريقي، مثل كينيا والصومال، وجيبوتي وإريتريا، والسودان وأوغندا، وشمال إفريقيا. والتي تم تأسيسها على يد الكاردينال (شارل لا فيجري) في الجزائر سنة 1868م .

*المنظمات الخيرية التي تقوم بجمع الأموال اللازمة لتسيير المشاريع التنصيرية في القارة و بدأت نشاطها منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، ومنها جمعية ليون لنشر العقيدة، ومنظمة الطفولة المقدسة وجمعية القديس بطرس(الأرو، 2008،ص77).

2.3/ **الكنيسة البروتستانية :** كان لها هيئات تعمل من خلالها على نشر المسيحية في إفريقيا وفي المناطق الأخرى ، وأهم هذه الهيئات .

*جمعية التنصير الكنسية لإفريقيا والشرق: تكونت في بريطانيا سنة 1799م، وبلغ مجموع ميزانية نشاطها التنصيري لسنة 1910م 21521جنيه إسترليني مخصص لإفريقيا الشرقية. و33048 جنيه لإفريقيا الغربية.

* إرسالية إفريقيا الداخلية: مقرها بكندا، بدأت نشاطها التنصيري في كينيا وامتد إلى أوغندا والكونغو.

*إرسالية السودان الداخلية: أنشئت سنة 1893م للعمل في السودان وكان لها نشاط أيضا في نيجيريا وإثيوبيا بين سنتي 1928و1935م.

*الإرسالية الأمريكية التابعة لمجلس الإرساليات الكنسية بشمال أمريكا: بدأت نشاطها التنصيري في مصر سنة 1854م وامتد هذا النشاط إلى السودان.

*الجمعية التنصيرية الميثودية: أنشئت خلال القرن التاسع عشر الميلادي ولها نشاط واسع في دول شرق إفريقيا وغربها.

*جمعية الكتاب المقدس البريطانية: وهي منظمة مساعدة للإرساليات التنصيرية أنشئت سنة 1804م، وتنحصر مهامها في طبع وترجمة الإنجيل إلى كل اللغات، ولها فروع في جميع قارات العالم، مثل جمعية الكتاب المقدس الأمريكية التي تكونت سنة 1816م.

كما لها فروع في القاهرة، وفتحت مكتبا في الخرطوم سنة 1927م لبيع الكتب والمنشورات النصرانية (الأرو، 2008، ص79).

3.3/ **مجلس الكنائس العالمي:** وهو منظمة عالمية تأسست سنة 1948م لتضم الكنائس النصرانية، وتضم أعضاء بروتستانتيين وكاثوليك، ولهذا المجلس هيئة تسمى (هيئة مجلس الكنائس للإسهام في أعمال التنمية)، والتي يهدف المسيحيون من ورائها إلى استعمال المشاريع التنموية في إفريقيا وآسيا كوسيلة لنشر المسيحية على حساب الديانات الأخرى خاصة الإسلام

4.3/ **الجمعيات الطبية:** منها جمعية التنصير الطبية العالمية بنيويورك، وجمعية التنصير الطبية بأدنبرة في المملكة المتحدة (الأرو، 2008،ص80).

4/ نتائج السياسة التنصيرية للاستعمار الأوروبي:

لقد تمخضت عن السياسة الدينية للاستعمار الأوربي في إفريقيا جملة من النتائج أوجدت اختلالات في الكثير من الأمم والشعوب داخل القارة، وساهمت في تخلفها وعدم وحدتها الاجتماعية.

وكذا عدم توفر مقومات الدولة بالمفهوم العصري في الكثير من الدول الإفريقية، ومن أهم النتائج التي أفرزتها السياسية الدينية للاستعمار في إفريقيا ما يلي:

- انتشار المسيحية في إفريقيا السوداء على حساب الديانات المحلية خاصة الإسلام مما أثار الكثير من النزاعات الداخلية في بعض دول القارة، وأدى ذلك إلى عدم الاستقرار السياسي لبعض الدول الإفريقية.
- انتشار الثقافات الأوروبية، ولعل أهمها اللغات الأوربية التي أصبحت اللغات الرسمية للكثير من البلدان الإفريقية مثل الإنجليزية في كينيا ونيجيريا وجنوب

إفريقيا .... والفرنسية في السنغال ومالي وإفريقيا الوسطى.... والبرتغالية في أنغولا وغيرها، وكذلك إيجاد نخبة محلية مثقفة بالثقافات الأوربية تحفظ لغة المستعمر وتدافع عنها حتى على حساب اللغة الوطنية.

- مساهمه إثيوبيا المسيحية وتعاونها مع الدول الأوربية في عملية نشر المسيحية في الدول المجاورة لها، مثل الصومال التي غزا مناطقها الغربية (منليك الثاني) ملك إثيوبيا سنة 1896م وقام بفرض الديانة المسيحية على سكان محافظة هرر المسلمين بالقوة. كما قام ملكها (هيلا سيلاسي) بمساعدة الإرساليات البروتستانتية والكاثوليكية لنشر المسيحية في جنوب السودان الذي انفصل عن السودان في السنوات الأخيرة (خالدي وفروخ، 1953، ص241)
- استمرار الصراع الحضاري بين المسيحية والإسلام بحيث اعتبر المستعمرون الأوربيون ولا يزالون يعتبرون بأن أعداءهم هم المسلمون. ويظهر ذلك من تصريح (فروليش Frohlich) (ت 1865م) أحد مخططي الاستعمار الفرنسي :« إن كل أعدائنا كانوا تقريبا من المسلمين »(سيلا،1986، ص86).
- غرس عناصر بشرية مسيحية أوربية في البلدان الإفريقية دخيلة عن المجتمعات الإفريقية، حيث تم تمكين هذه العناصر من السيطرة على الأراضي، وتهميش سكانها الأصليين، مثلما حدث في جنوب إفريقيا التي قام نظام التمييز العنصري بها بأبشع الجرائم في حق السكان السود، كما احتكر البيض السياسة والاقتصاد وفرضوا نظامهم العنصري هناك حيث كان لا يسمح للأفارقة السكن بجانب الأوربيين البيض، ولا الركوب في حافلاتهم.... (محمد1997، ص310).
- ورغم كل هذا فإن العمل التنصيري الذي قامت به الدول الأوربية في إفريقيا كانت نتائجه في بعض الأحيان مخيبة لآمال الاستعماريين الأوربيين ودافعا لبعض للشعوب الإفريقية إلى أن تتمسك بمقوماتها لكي تستطيع الوقوف في وجه المستعمر، كما

حدث في الجزائر مثلا والتي أدرك شعبها ضرورة التمسك بدينه الذي هو عامل نصره وتحرره من الاستعمار الفرنسي. وهو ما شهد به الكاتبان الفرنسيان (كرليت) و(فرانسيس جونسون) : «...لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الإسلام من أجل ذلك أدركوا جميعا أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا على التحرر. وفي الواقع أن الاحتلال الفرنسي (للجزائر) كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية» (عبد الوهاب،175،1981).

- فرض حكام علمانيين على بلاد المسلمين من بني جلدتهم قصد ضمان التبعية في مرحلة ما بعد الاستقلال، وهو ما سعت إليه الدول الاستعمارية في إطار ما يعرف بالاستعمار الجديد. ويظهر لنا هذا الأمر من خلال تصريح (كرومر) منظر السياسة الاستعمارية في مصر والسودان والصومال في قوله: « الإسلام بطبيعة تعاليمه عدو للحضارة الأوربية ، وإن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوربيين لا يقوى على حكم البلاد »(الأرو،2008، ص71).

5-خاتمة:

حمل الأوروبيون معهم المسيحية كدافع لمكتشفيهم وجيوشهم لخوض عملية اكتشاف إفريقيا خلال القرن 15 ثم استعمارها خلال القرن 19 م، وعملوا طيلة فترة تواجدهم فيها على نشر هذه الديانة بكل الوسائل مما أفرز نتائج وخيمة على القارة الإفريقية و على سكانها؛ و لعل أهمها بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا هو إيجاد مكانة للمسيحية على هذه القارة التي لم تكن تعرف هذه الديانة إلا في مناطقها الشمالية أو الحبشة.

كان الهدف الأول من هذه الحملة التي غذتها الكنيسة الأوربية هو محاربة الإسلام الذي عرف انتشارا واسعا داخل قارة آنذاك، وكذا جعل الدين مطية للسيطرة على مناطقها التي تزخر بالخيرات.

وبهذه الخطة استطاعت القوي الاستعمارية غرس المسيحية بمذاهبها في وسط سكان القارة، مما تسبب في ضعف اللحمة بين المجتمعات الإفريقية داخل الكثير من دول القارة وكثرت النزاعات والفرقة مما جعل سيطرة الدول الاستعمارية تستمر حتى بعد استقلال الدول الإفريقية.

6- الهوامش:

مصوع: مدينة وميناء بحري اريتري على البحر الأحمر. تبعد عن العاصمة أسمرة بحوالي 100 كم إلى الشرق منها. دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري، وكان لها دور في نشر الإسلام في مناطق شرق إفريقيا . تعتبر من المدن الصناعية و التجارية الهامة في اريتريا خاصة صناعة المنسوجات ، والصناعة الغذائية . احتلها الطليان سنة 1885م ._اعبد الحكيم العفيفي :،2000موسوعة 1000 مدينة إسلامية ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع .

عدل : سلطنة إسلامية في المناطق الشمالية من الصومال ظهرت خلال القرن الخامس عشر الميلادي . تقع بين خطي عرض 8° و 12° شمالا وخطي طول 42° و48° شرقا . كانت تشمل الأراضي الواقعة بين ميناء زيلع و هرر. وتمتد جنوبا لتشمل جزءا مما يعرف الآن بالصومال الشمالي ، وإقليم الأوجادين . أخذت هذه السلطنة اسمها من ميناء عدل الذي كان يقع على رأس خليج تاجورة في جيبوتي الحالية . وكانت عاصمتها (دكر) حتى سنة 1521م عندما انتقلت العاصمة إلى مدينة هرر في عهد السلطان أبي بكر بن محمد . توسعت في عهد السلطان عمر الدين بن عمر والإمام أحمد بن إبراهيم الغازي (الأشول) حتى ضمت كل ممالك الزيلع الإسلامية ومعظم أقاليم الحبشة المسيحية . انكمشت حدود هذه السلطنة بعد انهزام الإمام أحمد أمام الأحباش والبرتغاليين سنة 1542م لتصبح دويلة بين هرر وسواحل زيلع بالصومال . أنظر،محمد عثمان أبوبكر ،1996،المثلث العفري في القرن الأفريقي عبر العصور ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات .

منقذ محمد السقار ، ديسمبر 2018 ،الاستعمار ودوافعه الدينية ، https//islam .house.com

جوزفين كام ،1983 ، المستكشفون في إفريقيا ، ترجمة السيد يوسف نصر ، مصر ، دار المعارف .محمد محمد صالح ،1407هـ -1987م ، استعمار إفريقيا وتقسيم القارة الإفريقية في مؤتمر برلين 1884-1885م بين الدول الكبرى الأوربية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 31 .
رياض زاهر،1965 ، استعمار إفريقيا ،القاهرة ،الدار القومية للطباعة والنشر .
علي إبراهيم النملة،1993 ،التنصير مفهومه ، وأهدافه ووسائله ، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع .
النملة،1993 ،التنصير مفهومه ، وأهدافه ووسائله ، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع
عبد العاطي بيومي طارق غنيم ، 1999 ، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، (1848-1811) ، الهيئة العامة للكتاب .
هيلاسلاسي : دجزماج تفري . ولد في 23 جويلية 1891م في هرر. عندما كان والده ماكنن واليا عليها . تلقى تعليمه الأول في مدرسة الإرسالية الفرنسية . عينه منليك حاكما على منطقة سيداموا ، ثم حاكما على مقاطعة هرر سنة1900م عين وصيا لعرش الحبشة ووليا للعهد بعد خلع الإمبراطور ليج ياسو سنة 1917م . تولى حكم أثيوبيا سنة 1930م أطيح به على إثر إنقلاب سنة 1974م . فتحي غيث : الإسلام والحبشة عبر التاريخ 2001، القاهرة مكتبة النهضة المصرية .
Bahru zewde,2014 a history of modern Ethiopia 1855-1991, Addis Ababa .
فيصل موسى ، 1997موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ليبيا، منشورات الجامعة المفتوحة ، ص 181.
أحمد عبد الوهاب ، 1981 ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ،القاهرة ، مكتبة وهبة
عبد الرازق عبد المجيد الأرو،2008، مكة، التنصير في إفريقيا ، الدار العامة للثقافة والنشر
سعد الله أبوالقاسم ،1992، الحركة الوطنية الجزائرية، بيروت ،دار الغرب الإسلامي .
أحمد الخطيب ،1995 ، جمعية العلماء وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر، دارهومة .
السقار ، ديسمبر 2018 ،الاستعمار ودوافعه الدينية ،https//islam house.com.

مقران يسلي ،1991، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945 ، مذكرة ماجستير- قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر.

هو صموائيل ساتليهلو زويمر ، من أقطاب التنصير في البلاد العربية ،ولد سنة 1867م ويعد رئيس المستشرقين في الشرق الأوسط. تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها مع (باكونالد) . توفي سنة 1953م . النملة ،1993 ،التنصير مفهومه ، وأهدافه ووسائله ، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع .

النملة،1993 ،التنصير مفهومه ، وأهدافه ووسائله ، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع

عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ،1998، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، القاهرة،دار الكتب المصرية .

مصطفى خالدي وعمر فروخ ،1953، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية .

النملة ،1993 ،التنصير مفهومه ، وأهدافه ووسائله ، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع .

بقطاش خديجة ،2009،الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871 ، الجزائر ، دار دحلب .

خالدي و فروخ ،1953، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية.

عبد الرازق عبد المجيد الأرو،2008، مكة، التنصير في إفريقيا ، الدار العامة للثقافة والنشر .

الأرو،2008، مكة، التنصير في إفريقيا ، الدار العامة للثقافة والنشر .

عبد القادر محمد سيلا ،1986، المسلمون في لسنغال ، ط1 ، قطر ، سلسلة كتاب الأمة ، 1986 .

موسى فيصل محمد،1997، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، ليبا ،منشورات الجامعة المفتوحة

أحمد عبد الوهاب ، 1981 ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ،القاهرة ، مكتبة وهبة

الأرو،2008، مكة، التنصير في إفريقيا ، الدار العامة للثقافة والنشر .